

الفصل الأول^(١)

□ القرآن

نور الله المبين

اعلم أن هذا الباب^(٢) واسع كبير ، ألف فيه العلماء كتباً كثيرة ، وصنفوا فيه تصانيف عديدة^(٣) ، نذكر من ذلك نكتاً^(٤) تدل على فضله ، وما أعد الله لأهله^(٥) ، إذا أخلصوا الطلب لوجهه^(٦) ، وعملوا به . فأول ذلك أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين غير مخلوق ، كلام من ليس كمثله شيء ، وصفة من ليس له شبيه ولا نذ^(٧) ، فهو من نور ذاته عز وجل ، وأن القراء ونعماتهم ، وهى أكسابهم التى يؤمرون بها فى حال ، إيجاباً فى بعض العبادات ، وندباً فى كثير من الأوقات ، ويزجرون^(٨)

(١) جميع العناوين فى الكتاب من عندنا فالمصنف رحمه الله لم يضعها ، وقد رأينا وضعها تسهيلاً على القارئ وتعميماً للفائدة - والله المستعان . ولعل القارئ الخير يكتب التراث يلاحظ أن نفس المعاني الجنيلة التى تردت فى مقدمة هذه الرسالة موجودة فى بداية تفسير القرطبي .

(٢) يقصد باب مجاء فى فضل القرآن ، وآدابه ، وأحكامه .

(٣) ألفوا فيه مؤلفات كثيرة .

(٤) جمل وأقوال مما ذكر فى أفضال القرآن .

(٥) أهل القرآن وحملته .

(٦) أخلصوا النية فى طلبه ، وبذلوا ما وسعهم من جهد ودأب من أجل تعلمه ومعرفته ، ليس

ذلك فقط بل عليهم أن يعملوا به .

(٧) الند : الشبه أو المثل وجمعها (أنداد) .

(٨) أى ينهون عنها إذا أجنبوا .

عنها إذا أُجنبوا ، ويثابون عليها ويعاقبون على تركها . وهذا مما أجمع عليه المسلمون أهل الحق ونطقت به الآثار ، ودل عليها المستفيض من الأخبار ، ولا يتعلق الثواب والعقاب إلا بما هو أكساب العباد ، ولولا أنه - سبحانه - جعل في قلوب عباده من القوة على حمله ما جعله ليتدبروه وليعتبروا وليتذكروا ما فيه من طاعته وعبادته ، وأداء حقوقه وفرائضه ، لضعفت ولاندركت بثقله ، أو لتضعضت^(١) له ، وأنى تطبيقه ، وهو يقول - تعالى جده - وقوله الحق :

﴿ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعاً متصدعاً من خشية الله وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يفكرون ﴾^(٢) .

فأين قوة القلوب من قوة الجبال ! ولكن الله تعالى رزق عباده من القوة على ما حمله ماشاء أن يرزقهم ، فضلاً منه ورحمةً .

□ نزول الوحي^(٣)

* كيفية نزول الوحي وأول ما نزل :

قال ابن عباس : القرآن هو المهيمن الأمين على كل كتاب قبله .

* وجاء في البخارى حدثنا عبيد الله بن موسى ، عن شيبان ، عن يحيى ، عن أنس سلمة ، قال : أخبرتنى عائشة وابن عباس رضى الله عنهم قالا لبث النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن وبالمدينة عشرة .

(١) ضعفت .

(٢) سورة الحشر : ٢١ .

(٣) قال ابن عباس رضى الله عنه : أنزل القرآن جملة واحدة إلى سماء الدنيا في ليلة القدر .. ثم نزل بعد ذلك في عشرين سنة ثم قرأ ﴿ وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلاً ﴾ .

وقد أقام النبي ﷺ بمكة عشر سنين ينزل عليه فيها القرآن ، وبالمدينة عشرة . وقيل إن مدة النزول بمكة كانت خلال ثلاثة عشر عاماً ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام بعث وهو ابن أربعين وتوفى وهو ابن ثلاث وستين . وقد اجتمع لنزول القرآن شرف الزمان وشرف المكان .. فكان نزوله في مكة وهو البلد الحرام وفي شهر رمضان وهو زمن شريف . =

ﷺ لأم سلمة: من هذا؟ أو كما قالت: هذا دحية، فلما قام قالت: والله ما حسبته إلا إياه حتى سمعت خطبة النبي ﷺ يخبر خبر جبريل أو كما قال: قال: أئى قلت لأئى عثمان: ممن سمعت هذا؟ قال: من أسامة بن زيد^(٥).

* وقال النبي ﷺ: « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلى فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة »^(١).

* وقال أنس بن مالك رضى الله عنه: إن الله تعالى تابع على رسوله ﷺ الوحي قبل وفاته حتى توفاه، أكثر ما كان الوحي ثم توفى رسول الله ﷺ بعد^(٢). [أى أن أكثر فترة تتابع الوحي على الرسول فترة قبل وفاته ﷺ].

(٥) كان السفير بين الله وبين محمد عليه صلوات الله هو جبريل وهو ملك كريم .. ذو وجاهة وجلالة ومكانة .. كما مدحه الله تعالى بقوله: ﴿ نزل به الروح الأمين . على قلبك لتكون من المنذرين ﴾ وقال تعالى: ﴿ إنه لقول رسول كريم . ذى قوة عند ذى العرش مكين . مطاع ثم أمين . وما صاحبكم بمجنون ﴾.

وكان جبريل عليه السلام كثيراً ما يأتي إلى النبي على صورة دحية بن خليفة الكلبي وكان من قبيلة أسامة بن زيد.

(١) قال النبي ﷺ: « ما من الأنبياء نبي إلا أعطى ما مثله آمن عليه البشر .. وإنما كان الذى أوتيت وحياً أوحاه الله إلى .. فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة ».

ومعنى الحديث أنه ما من نبي إلا أعطى من المعجزات ما يجعل من يهتدى من الناس يؤمن به بسبب هذه المعجزة .. التى تكون دليلاً على تصديقه فيما جاءهم به هذا النبي في زمانهم، وشاءت الإرادة الإلهية أن تنتهى معجزة كل نبي بموته عدا محمد صلوات الله وسلامه عليه الرسول الخاتم للأنبياء، حيث كان ما أناه الله وحياً منه يحفظه الله ويتناقلونه خلفاً عن سلف ما بقيت السموات والأرض فالقرآن معجزة خالدة لا يذهب أثرها بعد وفاة النبي عليه السلام ولذلك سيكون أكثر الأنبياء تبعاً يوم القيامة - والله أعلم.

والحديث عن عبدالله بن يوسف عن الليث عن سعيد المقبرى عن أبيه عن أى هريرة رضى الله عنه - راجع كتاب فضائل القرآن من صحيح البخارى باب كيف نزول الوحي وأول ما نزل.

(٢) الحديث عن عمرو بن محمد عن يعقوب بن إبراهيم عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب عن مالك بن أنس والحديث أخرجه البخارى في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب كيف نزل الوحي، ومسلم كتاب التفسير حديث رقم (٣٠١٦) وأحمد في مسنده (٢٣٦/٣).

• وقال الأسود بن قيس^(١) : سمعت جندباً يقول : « اشتكى النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين فأنته امرأة فقالت : يا محمد مأرى شيطانك إلا قد تركك؛ فأنزل الله عز وجل ﴿ والضحى واللبل إذا سجدى ما ودعك ربك وما قلى ﴾ .

■ القرآن بلسان قريش

نزل القرآن بلسان قريش والعرب. قرآنًا عريباً بلسان عربى مبين^(٢) .
قال أنس بن مالك : فأمر عثمان زيد بن ثابت وسعيد بن العاص وعبدالله ابن الزبير وعبدالرحمن بن الحارث [الحارث] بن هشام أن ينسخوا المصحف وقال لهم : إذا اختلفتم وزيد بن ثابت في عريية من عريية القرآن فاكتبوها بلسان قريش فإن القرآن أنزل بلسانهم ، ففعلوا^(٣) .

(١) الحديث عن أنى نعيم عن سفيان عن الأسود بن قيس . والحديث أخرجه البخارى في صحيحه كتاب التفسير - تفسير سورة الضحى - ، والبيهقى في دلائل النبوة باب فضور الوحي (٧٩/٧) ، وابن جرير الطبرى في تفسيره (١٤٨/٣٠) ، كما ذكره السيوطى في الدر المنثور (٣٦٠/٦) وعزاه لعبد بن حميد ، وأحمد .

(٢) ذكره البخارى بعنوان : نزول القرآن بلسان قريش ، والعرب قرآنًا عريباً بلسان عربى مبين .

(٣) الحديث عن أنى الإيمان عن شعيب عن الزهري عن أنس بن مالك والحديث أخرجه البخارى في صحيحه كتاب فضائل القرآن ، باب جمع القرآن ، من حديث طويل وأخرجه الترمذى في أبواب التفسير - سورة التوبة - من حديث طويل وقال : حديث حسن صحيح .

[فائدة] :

كانت لغة قريش أو لهجتها هى أقرب اللهجات إلى لغة العرب جميعاً ، وهى أكثر اللهجات شيوعاً وانتشاراً وفهماً ، لما كان لقريش من وضع مميز بين العرب دينياً ، واقتصادياً ، وسياسياً واجتماعياً ولعل ذلك يذكرنا باللهجة القاهرية مثلاً فهى تفهم في أى مكان من عالنا العربى لانتشارها بطرق عديدة ، ولما للقاهرة من مكانة بين العرب ، مثلها في ذلك اللهجة القرشية التى كان لها مكانتها بين العرب قبل نزول القرآن .

وقال تعالى ﴿ تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ =

وكان يعلى بن أمية يقول: لئنيتنى أرى رسول الله ﷺ حين ينزل عليه الوحي فلما كان النبي ﷺ بالجرعانة عليه ثوب قد أظل عليه ومعه ناس من أصحابه إذ جاءه رجل متضمخ بطيب فقال رسول الله : كيف ترى في رجل أحرم في جبة بعد ما تضمخ بطيب؟ فنظر النبي ﷺ ساعة فجاءه الوحي فأشار عمر إلى يعلى أن تعال: فجاء يعلى فأدخل رأسه فإذا هو محمر الوجه يغط كذلك ساعة ثم سرى عنه فقال : « أين الذى يسألنى عن العمرة آنفاً، فالتمس الرجل فجىء به إلى النبي ﷺ فقال : « أما الطيب الذى بك فاغسله ثلاث مرات وأما الجبة فانزعها ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك » (١) .

= وقال تعالى : ﴿ قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً ﴾ .

ثم تقاصر معهم التحدى إلى عشر سور فقال ﴿ أم يقولون افتراه . قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ . ثم تحداهم بسورة واحدة فعجزوا لقوله ﴿ أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ . وقد أخبر أنهم عاجزون عن معارضته بمثله وأنهم لن يستطيعوا ذلك في المستقبل إلى يوم القيامة أيضاً بقوله : ﴿ فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين ﴾ .

وهذا الكلام كان موجهاً للعرب لأفصح الخلق.. وأعلمهم بالبلاغة والشعر وقريض الكلام .. وضروبه .. لكن جاءهم من الله ما لا قبل لأحد من البشر به .. كما قال تعالى : ﴿ وعت كلمة بك صدقاً وعدلاً ﴾ .

وعن الحارث بن عبد الله قال : « مرت في المسجد فإذا الناس يخوضون في جدل وخلاف وكلام كثير فذهبت إلى على رضى الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين ألا ترى الناس قد خاضوا في الأحاديث؟ قال: أو قد فعلوها؟ قلت نعم .. قال أما أنى قد سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنها ستكون فتنة » فقلت : فما أخرج منها يارسول الله ؟ قال : « كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم . وخبر ما بعدكم . وحكم ما بينكم . هو الفصل ، ليس بالهزل .. من تركه من جبار قصمه الله . ومن ابغى الهدى في غيره أضله الله . وهو حبل الله المتين ، وهو الذكر الحكيم . وهو الصراط . هو الذى لا تزيغ به الأهواء . ولا تلبس به الألسنة . ولا يشع منه العلماء .. ولا يخلق على كثرة الرد .. ولا تنقض عجائبه . هو الذى لم تنته الجن إذا سمعته حتى قالوا ﴿ إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد فأمتنا به ﴾ من قال به صدق ومن عمل به أجر .. ومن حكم به عدل .. ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

(١) الحديث عن أبى نعيم ، عن همام عن عطاء ، قال مسدد ، حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن جريج ، قال : أخبرني عطاء ، قال : أخبرني صفوان بن يعلى بن أمية ... الحديث) .

والحديث أخرجه البخارى في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب نزل القرآن بلسان قريش ، وأحمد (٤/٢٢٢) .

□ جمع القرآن

قال زيد بن ثابت^(١) رضي الله عنه : أرسل إلى أبي بكر مقتل أهل اليمامة فإذا عمر بن الخطاب عنده . قال أبو بكر رضي الله عنه أن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن

(١) الحديث عن موسى بن إسماعيل عن إبراهيم بن سعد عن ابن شهاب عن عبيد بن السباق ، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب جمع القرآن ، والترمذي في كتاب التفسير - سورة النوبة - وقال : حديث حسن غريب .

[فائدة] :

يقول زيد بن ثابت : إن أبابكر أرسل إليه بعد مقتل أهل اليمامة [في موقعة اليمامة بين المسلمين المرتدين] واستشهد الكثير من حفاظ القرآن فيها فإذا عمر بن الخطاب عنده فقال أبو بكر : إن عمر بن الخطاب أتاني فقال : إن القتل قد استحر (اشتد) بقراء القرآن ، وإني أخشى أن يستحر القتل في المواطن [في حروب أخرى] فيذهب كثير من القرآن ، وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن .

قال زيد لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، فقال عمر : هذا والله خير .. ثم لم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت الرأي الذي رأى عمر .. ثم قال أبو بكر لزيد بن ثابت رضي الله عنه :

إنك رجل شاب عاقل ، لاتهمك ، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ، فتبع القرآن فاجمه .

قال زيد بن ثابت : والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أتي به من جمع القرآن ، فتبع القرآن أجمعه من العصب واللخاف (صفائح الحديده الرفاق) .. ومن صدور الرجال .. ووجدت آخر سورة النوبة مع أبي خزيمة الانصاري ولم أجد معها غيره ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم ﴾ حتى خاتمة براءة .

ثم حفظت الصحف عند أبي بكر رضي الله عنه حتى توفاه الله .. ثم عند عمر مدة حياته .. ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه وفي رأينا أن جمع القرآن من أحسن وأعظم ما فعله الصديق رضي الله عنه فإن الله تعالى قد أقامه بعد النبي ﷺ مقاماً لا ينبغي لأحد من بعده .. قاتل الأعداء من مانعي الزكاة . المرتدين ، والفرس ، والروم ونفذ الجيوش .. وبعث البعث والسرايا .. ورد الأمر إلى نصابه .. بعد الخوف من تفرقه وذهابه وجمع القرآن العظيم من أماكنه المتفرقة حتى تمكن القاريء من حفظه كله - وكان هذا من سر قوله تعالى ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ .

ولهذا روى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : أعظم الناس أجراً في المصاحف أبو بكر ، إن أبا بكر كان أول من جمع القرآن .

فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، قال عمر : هذا والله خير فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدرى لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا تهكم وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليّ مما أمرني به من جمع القرآن قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ قال : هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدرى للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فتتبع القرآن أجمعه من العسب واللخاف وصدور الرجال حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره : ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ﴾ حتى خاتمة براءة فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر مدة حياته ، ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه .

* وقدم حذيفة بن اليمان على عثمان^(١) وكان يغازي أهل الشام في فتح

(١) الحديث عن موسى عن إبراهيم عن ابن شهاب عن أنس بن مالك .

[فائدة] :

يروى البخاري رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان رضي الله عنهما .. بعد عودة حذيفة من جهاده بالشام في فتح أرمينية وأذربيجان .. وقد أفرغه ماراه من اختلافهم في القراءة . فقال لعثمان : يأمر المؤمنين أدرك هذه الأمة ... قبل أن يختلفوا في الكتاب .. فأرسل عثمان بن عفان إلى حفصة ابنة عمر أن أرسل إلينا الصحف التي كتب فيها القرآن فننسخها ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان : فأمر زيد بن ثابت .. وعبدالله بن الزبير .. وسعيد بن العاص .. وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوا صوراً منها . وقال عثمان موجهاً حديثه إلى ابن الزبير ، وابن العاص ، وابن الحارث « رهط القرشيين » الثلاثة .. إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت (رئيس فريق العمل) في شيء من طريقة الكتابة فاكتبوها بطريقة قریش في كتابتها .

والمقصود من ذلك أنها لغة رسول الله ﷺ ... وأفصح لغات العرب ولهجاتهم رخصة ليسهل عليهم ترتيله بغير تكلف يشغل عن تدبره .

* وقد كان ذلك من أعظم مناقب عثمان . إن لم يكن أعظمها على الإطلاق - وهو جمع الناس على قراءة واحدة لئلا يختلفوا ووافقه على ذلك جميع الصحابة ... حتى قال علي بن أبي طالب : لو لم يفعل ذلك عثمان لفعلته أنا .

= فاتفق الأئمة الأربعة : أبو بكر .. وعمر .. وعثمان وعلى .. على أن ذلك من مصالح الدين .. وهم الخلفاء الذين قال رسول الله ﷺ في شأنهم « عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين من بعدي » .

• وقد روى الإمام ابن كثير رضي الله عنه أن ذلك حفظ القرآن من الاختلاف في طريقة الكتابة التي قد تؤدي إلى الاختلاف في التدبر .. إلى ما ينشأ من ذلك كما حدث في كتب اليهود .. فاليهود بأيديهم نسخة من التوراة .. والسامرة بخالفونهم في ألفاظ كثيرة ومعان أيضاً .. وليس في توراة السامرة حروف الحمزة .. ولا حرف الهاء ولا الياء ..

• أما عن طريقة كتابة المصحف فقد جلس هؤلاء النفر الكرام الأربعة يكتبون نسخاً من القرآن من الأصل الذي كان محفوظاً عند السيدة/ حفصة رضي الله عنها كما تقدم وإذا اختلفوا في طريقة كتابة شيء رجعوا إلى عثمان رضي الله عنه . فمثلاً اختلفوا في كلمة التابوت .. أيكتبونها بالناء في نهايتها أم بالهاء؟ فلما رجعوا إلى عثمان أمرهم أن يكتبوها بطريقة قريش .

وكانت مواضع الآيات .. والصور .. كما هي كما كتبت في عهد النبي ﷺ فإنه كان إذا نزل عليه شيء من القرآن دعا بعض من كان يكتب فيقول : « ضعوا هؤلاء الآيات من السورة التي يذكر فيها كذا وكذا » .

• وكانت سورة الأنفال من أول منازل بالمدينة .. وكانت براءة من آخر القرآن .. وكان ملورد في السورة الأولى يشبه ملورد في الأخرى ، وقبض رسول الله ﷺ ولم يبين أنها منها فمن أجل ذلك قرئت بينهما ولم يكتب بينهما فاصل بسم الله الرحمن الرحيم ويفهم من ذلك أن ترتيب الآيات في السور أمر توفيقى متلقى عن النبي ﷺ ولا دخل لفريق العمل بقيادة زيد بن ثابت فيه .

• ومن أجل ماتقدم من ترتيب السور فإنه يستحب الاقتناء بسيدنا عثمان رضي الله عنه بأن يقرأ القرآن متوالياً .. كما قرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة وسورة المنافقين . وتارة «يسبح» وه هل أتك حديث الغاشية » .

وفي الصحيحين عن أنى هريرة أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الصبح يوم الجمعة (ألم) «سبحه» . وهل أنى على الإنسان .. وإن قدم بعض السور على بعض جاز أيضاً .

فقد روى حذيفة أن رسول الله ﷺ قرأ سورة البقرة ، ثم سورة النساء . ثم سورة آل عمران .

• قام عثمان رضي الله عنه بعد نسخ المصاحف بإرسال مصحف إلى كل من مكة ... والبصرة ... والكوفة . والشام .. واليمن .. والبحرين وترك عند أهل المدينة مصحفاً .. وأمر بعد ذلك أن يحرق ما عند الناس من المصاحف بعد كتابة مصاحفه خشية أن يكون فيها - وقد كتبوها بأنفسهم - ما يخالف إذ لم تراجع . وقد وافقه الصحابة في عصره على ذلك .. وإنما نقم عليه ذلك الرهط الذين تماؤوا عليه وقتلوه .. وذلك في جملة ما أنكروه عليه وهم جملة من الحاقدين المتورين الذين لا دين ولا خلاق لهم .. بينما سادات المسلمين من الصحابة ومن نشأ في عصرهم قد وافقوه وباركوه . =

أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفرع حذيفة بن اليمان اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى فأرسل عثمان إلى حفصة أن ارسلى إلينا بالصحف

= وقد تقدم أن الخوف قد اشتد من قتل قراء القرآن الذين كانوا يحفظونه في صدورهم خشية أن تذهب بعض الآيات بذهابهم ، وتفصيل هذه المعركة : أن عدو الله مسيلمة الكذاب التف معه من المرتدين نحو مائة ألف .. فجهز الصديق لقتاله سيف الله المسلول خالد بن الوليد في نحو ثلاثة عشر ألفاً .. فالتقوا معهم - فانكشف الجيش الإسلامي لكثرة ما فيه من الأعراب الذين لا إيمان لهم ولا عهد ، أو غير المدربين تدريباً عسكرياً منظماً . وكان في الجيش عدد كبير من القراء الذين يحفظون القرآن وهم من كبار الصحابة فقالوا لخالد بن الوليد : ميزنا عن هؤلاء الأعراب ، أى اجمعنا مع بعضنا لنحارب في قوة واجعلنا في الصفوف الأولى ، فجمعهم خالد وكانوا قريباً من ثلاثة آلاف . فصدقوا الحملة .. وقاتلوا قتالاً شديداً . وكان شعارهم وهم يتنادون بينهم ، يا أصحاب سورة البقرة . فلم يزل ذلك دأبهم حتى فتح الله عليهم .. وتولى جيش الكفر فرأى .. وتبعهم سيوف المسلمين تعمل فيهم قتلاً ، وأسر وقتل مسيلمة وتفرق أصحابه .. ثم رجعوا إلى الإسلام ولكن قتل من القراء يومئذ نحو خمسمائة .. فلهذا أشار عمر على الصديق بأن يجمع القرآن لئلا يذهب منه شيء بسبب موت من يكون يحفظه من الصحابة بعد ذلك في مواطن القتال .

• ويرى بعض المؤرخين أن آيات القرآن لم تجمع « سوراً » في عهد الرسول ، وينضم إليهم بعض المستشرقين ، ويأخذون على جامعي القرآن أنهم لم يراعوا أوقات النزول ، ولاتقديم منازل بمكة على ما نزل بالمدينة ، ولم يعنوا بتأليف الآيات حسب موضوعاتها !! وهؤلاء المستشرقون مخطئون ؛ لأن الذي لاشك فيه أن الآيات جمعت « سوراً » في حياة الرسول وبراشده ، وقد قرأ زيد بن ثابت القرآن كله على رسول الله ، وكان الرسول يعرض القرآن على جبريل في كل عام ، وقصة إسلام عمر ترينا أنه طلب إلى أخته فاطمة أن تعطيه الصحيفة التي كانوا يقرعون فيها ، فإذا بها سورة « طه » ، ثم نجد ذلك في نصوص القرآن قوله تعالى : ﴿ ورتل القرآن ترتيلاً ﴾ ، وقد تكرر في القرآن نعته بالكتاب : ﴿ ذلك الكتاب لا ريب فيه ﴾ ثم ان المؤرخين متفقون على أن ترتيب الآيات في السور كان واحداً في كل المصاحف التي جمعت قبل وفاة الرسول .

وكل هذا يقطع بصحة ما قلنا من أن الآيات جمعت سوراً في حياة الرسول وبتوقيعه ، أما ترتيب السور فذلك ما اختلف فيه ، وما قيل إن الرسول تركه لأئمة .

وقد قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه : أدركت الناس متوافقين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ولم ينكر ذلك منهم أحد .

• بعد كتابة المصاحف أخذ كل ينقل صورة عن الأصل فيحفظ ويقرأ .. وصار القرآن الروح لكل مسلم .. وبدأ انتشار المصاحف حتى روى عن رجل صالح هو غنيم بن قيس المازني أنه قال : لو لم يكتب عثمان المصحف لطفى الناس يقرعون الشعر ، فالعرب مولعون بالبلاغة والفصحى ، وقد وجئوا في كتاب الله ما يغنى عن كل بليغ وفصيح .

نسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبدالله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبدالرحمن بن الحرث بن هشام فنسخوها في المصاحف ، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة : إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق .

• ويقول زيد بن ثابت : إن آية فقدت من الأحزاب حين نسخوا المصحف ، وقد كنت أسمع رسول الله ﷺ يقرأ بها فاتممتها فوجدناها مع خزيمة بن ثابت الأنصاري : ﴿ من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ فالحقناها في سورتها في المصحف .

□ كاتب الوحي

أرسل أبو بكر رضي الله عنه إلى زيد بن ثابت ^(١) قائلاً : إنك كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فاتبع القرآن فتبعت (القائل زيد) حتى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع آي خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره ﴿ لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم ... ﴾ إلى آخرها .

ويقول البراء : لما نزلت ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون في سبيل الله ... ﴾ قال النبي ﷺ ادع لي زيدا وليجيء باللوح والدواة والكتف أو الكتف والدواة ثم قال اكتب : لا يستوى القاعدون وخلف ظهر النبي ﷺ عمرو بن أم مكتوم الأعشى ، قال يا رسول الله فما تأمرني فما تأمرني؟ فأني رجل ضرير البصر فنزلت مكانها : ﴿ لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله ... ﴾ ^(٢)

(١) الحديث عن يحيى بن بكير عن ثلث عن يونس عن ابن شهاب عن ابن الساق - - - - -
كاتب الوحي عند البخاري الحديث الأول .

□ القرآن على سبعة أحرف

ويتحدث عبدالله بن عباس رضى الله عنهما^(١) : أن رسول الله ﷺ قال :
« أقرأني جبريل على حرفٍ فراجعته فلم أزل استزيده ويزيدني حتى انتهى إلى
سبعة أحرف » .

ويتكلم كل من المسور بن مخزومة وعبدالله بن عبدالمقارى أنهما سمعا
عمر بن الخطاب يقول : سمعت هشام بن حكيم يقرأ سورة الفرقان في حياة
رسول الله ﷺ فاستمعت لقراءته فإذا هو يقرأ على حروف كثيرة لم يقرئها
رسول الله ﷺ فكدت أساوره في الصلاة فتبصرت حتى سلم فلييته بردائه
فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ؟! قال: أقرأني رسول الله ﷺ
فقلت: كذبت فإن رسول الله ﷺ قد أقرأنيها على غير ما قرأت، فانطلقت به

(١) الحديث أخرجه البخارى في صحيحه كتاب فضائل القرآن باب (أنزل القرآن على سبعة
أحرف) وهو عن سعيد بن عفير، عن الليث، عن عقيل عن ابن شهاب، عن عبيد الله بن عبدالله عن
عبدالله بن عباس رضى الله عنهما .

[فائدة] :

القراءات السبع أو أن ثلاثاً يقرأ بالسبع ... والمقصود أن هناك قراءات على سبعة حروف ... وقد
اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً . فالأول وهو قول أكثر أهل العلم، أن
هناك سبعة أوجه من الألفاظ في طريقة النطق بها .. وقد جاء في حديث أبى بكر قال: جاء جبريل إلى
رسول الله ﷺ فقال : اقرأ على حرف ، فقال ميكائيل : استزده ، فقال اقرأ على حرفين ، فقال :
ميكائيل استزده حتى بلغ سبعة أحرف فقال: اقرأ فقل : كاف شاف إلا أن تخط آية رحمة بآية عذاب .

والسبب في ذلك : أن ذلك كان رخصة أن يقرأ الناس على سبع وذلك لما كان يتعسر على كثير
من الناس التلاوة على لغة قريش . وقراءة رسول الله ﷺ لعدم علمهم بالكتابة والضبط واتقان
الحفظ .. ثم كان بعد ذلك الإجماع على قراءة واحدة هي قراءة أمير المؤمنين عثمان بن عفان أحد الخلفاء
الراشدين المأمور باتباعهم .. وإنما جمعهم عليها حتى لا يفضى اختلاف طريقة القراءة إلى تفرق الأمة فتم ترتيب
المصاحف على الوجه الذى ذكر فلا يقرءوا بغيرها . وأن لا يتعاطوا الرخصة التي كانت وقد ذهبت
أسبابها .. حتى لا تؤدي إلى الفرقة والاختلاف وهناك رخص وجدت أسباب لتركها .. كما نهى عمر
رضى الله عنه عن المتعة في أشهر الحج لئلا ينقطع زيارة البيت في غير أشهر الحج .. وكان أبو موسى يبيع
التمتع فتركه فتياء اتباعاً لأمر المؤمنين .. وسمعا وطاعة للأئمة المهتدين .

أقوده إلى رسول الله ﷺ فقلت: إني سمعتُ هذا يقرأ بسورة الفرقان على حروف لم تقرئها فقال رسول الله ﷺ: أرسله اقرأ يا هشام؛ فقرأ عليه القراءة التي سمعته يقرأ فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت ثم اقرأ يا عمر فقرأت القراءة التي أقرأني فقال رسول الله ﷺ: كذلك أنزلت. إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرأوا ما تيسر منه .

■ تأليف القرآن^(١)

جاء رجل إلى عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها من العراق فقال: أرى الكفن خير؟! قالت: ويحك وما يضررك؟! قال: يألم المؤمنين أرىني مصحفك، قالت: لم؟ قال: لعل أولف القرآن عليه فإنه يقرأ غير مؤلف. قالت: وما يضررك أيه قرأت قبل، إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام؛ نزل الحلال والحرام ولو نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا: لا ندع الخمر أبداً، ولو نزل لا تزنوا لقالوا: لا ندع الزنا أبداً، لقد نزل بمكة على محمد ﷺ وإني لجارية ألعب بل الساعة موعدهم، والساعة أدهى وأمر وما نزلت سورة البقرة والنساء إلا وأنا عنده قال: فأخرجت له المصحف فأملت عليه آى السورة.

ويقول ابن مسعود في بنى إسرائيل^(٢) والكهف ومريم وطه والأنبياء إنهن من العتاق الأول وهن من تلادى.

وقال البراء: تعلمتُ سبح اسم ربك قبل أن يقدم النبي ﷺ.

(١) باب تأليف القرآن - والحديث عن إبراهيم بن موسى عن هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم قال: وأخبرني يوسف بن ماهك .. انظر صحيح البخارى كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن، والتأليف بمعنى الجمع والترتيب ومعاذ الله تعالى أن يكون بمعنى أن يأتي المرء شيئاً لم ينزل به الوحى الأمين، يأتي به من عندياته والله خير الحافظين.

(٢) الحديث عن آدم عن شعبة عن أنى إسحاق، قال: سمعت عبد الرحمن بن يزيد، سمعت ابن مسعود ... والحديث أخرجه البخارى في كتاب فضائل القرآن باب تأليف القرآن.

وقال عبدالله^(١) : قد علمت النظائر التي كان النبي ﷺ يقرأهن اثنتين
اثنتين في كل ركعة فقام عبدالله ودخل معه علقمة وخرج علقمة فسألنا فقال :
عشرون سورة من أول المفصل على تأليف ابن مسعود آخرهن الحواميم حم
الدخان وعم يتساءلون .

وسأل قتادة أنس بن مالك رضى الله عنه : من جمع القرآن على عهد
النبي ﷺ ؟ قال : أربعة كلهم من الأنصار : أوى بن كعب ، ومعاذ بن جبل
وزيد بن ثابت وأبوزيد^(٢) .

وقال أنس بن مالك : لم يجمع القرآن غير أربعة أبوالدرداء ومعاذ بن
جبل وزيد بن ثابت وأبوزيد ، ثم أضاف أنس : ونحن ورثناه^(٣) .

وقال عمر بن الخطاب : أوى أقرؤنا ، وإنا لندع من لحن أوى ، وأوى
يقول : أخذته من رسول الله ﷺ فلا أتركه لشيء قال الله تعالى :
﴿ ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها ﴾^(٤)

(١) في حديث قبل ذلك ذكره البخارى : حدثنا أبو الوليد حدثنا شعبة أنبأنا أبو إسحاق ، سمع
البراء رضى الله عنه قال : تعلمت سبع اسم ربك قبل أن يقدم النبى ﷺ .

أما الحديث الذى معنا فهو عن عبدان عن أوى حمزة عن الأعمش عن شفيق ، قال عبدالله ...
الحديث . أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب تأليف القرآن .

(٢) الحديث عن حفص عن عمر عن شعبة عن عمرو عن إبراهيم عن مسروق ذكر عبدالله بن
عمر وعبدالله بن مسعود فقالا : لا أزال أحبه ، سمعت رسول الله ﷺ يقول ... الحديث

أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبى .

(٣) حديث عن معلى بن أسد عن عبدالله بن المثنى عن ثابت البناتى ونخاعة عن أنس ... الحديث .
أخرجه البخارى فى صحيحه ، كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبى .

(٤) [١٠٦/البقرة] والحديث عن صدقة بن الفضل ، عن يحيى عن سفيان عن حبيب بن أوى
ثابت عن جبير عن ابن عباس قال : قال عمر ... الحديث .

أخرجه البخارى فى صحيحه كتاب فضائل القرآن ، باب القراء من أصحاب النبى .